برنامج [الكتاب الناطق] - الحلقة 146

معاني الصلاة - ج 3

السبت : 1/1/2017م ــ 2 ربيع الثاني 1438

✤ مرّ في الحلقة الأولى مِن حلقات (معاني الصلاة) ذكر عدّة نقاط، وفي الحلقة الثانية ذكر عدّة إضاءات، وكلّ ذلك عبارة عن مفردات أحاول في هذه الحلقات أن أُشكّل منها المستوى الأدنى لثقافة الصلاة في منهج الكتاب والعترة وفقاً لطريقة منهج (لحن القول).

● لازال الحديث يتواصل في أجواء الثقافة الزهرائية التي تنهل من نمير معارف الكتاب والعترة.

✤ في هذه الحلقة سأحاول جاهداً أن أُلخّص المطالب مع كثرتها وتفرّعها، لكنّني سأسلّط الضوء وبنحو مِن الإيجاز والاختصار على شؤونات الطهارة والتطهّر، فللطّهارة في ثقافة الكتاب والعترة شؤونات وحالات ومظاهر ومراتب.. سأسلّط الضوء على بعض من هذه من هذه المطالب.

✪ هناك (الطهارة الحسيّة) وهي حالة مِن حالات الطهارة، وهي على مراتب (التيمم، الوضوء، الغُسل) وطبعاً إنّني أتحدّث هنا عن طقوس طهارة مشروطة في صحّة العبادة وفي صحّة الصلاة، لأنّني لا أريد أن أتوغّل في باب مُفصّل تقع فيه عناوين الطهارات والمُطهّرات والنجاسات والمُنجّسات.

■ الذي ألجأني للحديث عن الطهارة هو أنّ الحديث في هذه الحلقات عن (معاني الصلاة) والنبي الأعظم صلّى الله عليه وآله يقول: (لا صلاة إلّا بطهور) وكان حديثي فيما تقدّم وفيما بقي عن الوضوء لأنّ الوضوء هو العنوان الأوضح والأبين حين الحديث عن طهور الصلاة.

(علماً أنّ حديثي هنا هو عن مضمون الوضوء، عن مضمون الطهارة، عن ثقافة الطهارة في فقه آل محمّد صلوات الله عليهم، ولا أعني بفقه آل محمّد الفتاوى والأحكام الشرعية والرسائل العملية.. الفتاوى والأحكام هي جزء يسير من ثقافة آل محمّد)

● هذا العنوان: (فقه آل محمّد) مصطلح واسع جدّاً، ولكن المؤسسة الدينية الشيعية ضيّقت هذا العنوان لتأثّرها بالفكر المُخالف، فكان الفقه عند علمائنا هو في دائرة الفُتيا والأحكام الشرعيّة (العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات والعناوين الأخرى التي في هذا المجرى)

(وقفة مُجملة تُبيّن الفارق الكبير بين الفقه عند آل محمّد، والفقه في المؤسسة الدينية الشيعية (فقه علمائنا ومراجعنا) وبيان سبب ومنشأ تقسيم علمائنا الفقه إلى: الفقه الأكبر، والفقه الأصغر، وهل هذا التقسيم موجود في فقه آل محمّد؟).

✪ هناك حالة أخرى للطهارة هي (الطهارة المعنوية الحسيّة) وهي حالة أخرى من حالات الطهارة.

الطهارة الحسيّة المعنوية تبدأ من إعلان الإسلام، إذ من جملة المطهّرات في أحكامنا الشرعية هو (الإسلام)، فالإسلام طهارة معنوية للقلب والوجدان وطهارة حسيّة للبدن أيضاً.. ولكن هذه المرحلة التي فيها هذا التقسيم (الإسلام والإيمان) هي مختّصة بمرحلة التنزيل فقط (أي قبل بيعة الغدير).. ولابد هنا من التمييز بين الإسلام والإيمان.

● مشكلة علمائنا هو عدم التمييز بين مرحلتي (التنزيل والتأويل) ممّا ألقى بظلاله على الثقافة الشيعية وعلى الفقه الشيعي الفتوائي.. فإلى يومنا هذا ونحن نلحظ في كتبنا الفقهية ورسائلنا العملية أنّ الإسلام يكفي في تحقّقه الإقرار بالشهادتين الأولى والثانية وهذا بالضبط الفكر المُخالف لآل محمّد..

في مرحلة التنزيل كان هناك إسلام وهناك إيمان، وأعني بمرحلة التنزيل: أي الفترة من بداية البعثة إلى بيعة الغدير، يعني مُنذ بيعة الغدير بدأت مرحلة التأويل (يا علي ستُقاتلهم على التأويل كما قاتلتُهم على التنزيل)

علماً أنّ مُصطلح (التأويل) هنا ليس هو منهج لتفسير القرآن، وإنّما هو عنوان للدين.. فالدين في زمن النبي من بداية البعثة وحتّى بيعة الغدير عنونه النبي بالتنزيل، فالنبي لم يكن قاتلهم على القرآن، وإنّما قاتلهم على الإسلام بكلّه، والقرآن جزء منه.. فقول رسول الله لسيّد الأوصياء (ستُقاتلهم على التأويل) يعني ستُقاتلهم يا علي على الإسلام الذي اتّضحتْ صورته بعد بيعة الغدير.

■ وقفة عند الآية 14 من سورة الحجرات {قالت الأعراب آمنّا قل لم تُؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم..}

هذا المضمون الموجود في الآية هو في مرحلة التنزيل وليس مرحلة التأويل.. وتعبير (لمّا) هنا في الآية هو بمعنى (لم) أي: لم يدخل الإيمان في قلوبكم، فأنتم في مرحلة الإسلام.

● هذا العنوان (عليّ أمير المؤمنين) صار بشكل رمزي ورسمي وبنحو شرعي بعد بيعة الغدير، بدليل أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يقل: (عليّ أمير المسلمين) بل قال (عليّ أمير المؤمنين) والسبب: لأنّ الإسلام والإيمان بعد بيعة الغدير صار شيئاً واحداً، ولهذا صار هذا اللّقب خاصّاً بعليّ.

● في دعاء الندبة نقرأ: (ولولا أنت يا علي لم يُعرف المُؤمنون بعدي، وكان بعده هدىً مِن الضلال ونوراً من العمى، وحبل الله المتين وصراطه المستقيم...). المسلمون بايعوا عليّاً في بيعة الغدير على أنّه أمير للمؤمنين فالإيمان والإسلام ببيعة الغدير صار شيئاً واحداً، أي لا يتحقق معنى الإيمان إلّا بالشهادات الثلاث.

● وقد يقول قائل: أنّ هناك روايات عندنا عن النبي وعن الأئمة تقول بأنّ الإسلام يتحقّق بالشهادتين.. وأقول نعم هناك روايات، ولكن هذا اللّسان هو لسان التقيّة أمّا لسان الحقيقة عند آل محمّد فالإسلام لا يتحقّق إلّا بالشهادات الثلاث. (علماً أنّ الحديث في هذه الحلقات ليس عن هذا الموضوع، ولكنّي أُثير هذه المسائل لتعرفوا كم أنّ الثقافة الشيعية بعيدة عن منطق آل محمّد!)

● تفسير الإمام العسكري من أوّله إلى آخره يدور حول قضية واحدة، وهي: أنّ حقيقة الإسلام هي في الشهادات الثلاث.. جوهر ما في هذا التفسير هو هذا: أنّ الإسلام هو الإيمان، وأنّ الإسلام: الله ، محمّد ، علي.. ومن دون هذه الأركان الثلاثة لا معنى للإسلام على أرض الواقع، وهذا هو معنى (عليّ أمير المؤمنين) يعني أميرٌ للذين يتّصفون بصفة الإيمان.. وهذا هو المفترض أن يكون بعد بيعة الغدير.

● قوله تعالى {إنّ الدين عند الله الإسلام} هذا هو نفسه الإسلام الذي بدأ منذ بيعة الغدير، والذي هو بعينه الإيمان.. وكذلك قوله تعالى {ومَن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه} الإسلام هو الإيمان كما ذكرت.

علماً أنّ الذي ساقني للحديث عن هذه القضيّة هو أنّ حالة من حالات الطهارة هي (حالة الطهارة الحسيّة المعنوية) التي تبدأ من إعلان الإسلام إن كان في زمان التنزيل من إعلان الإسلام بالشهادتين، أو في مرحلة التأويل من إعلان الشهادة بالشهادات الثلاث.. بل إنّه حتّى في مرحلة التنزيل كان إعلان الإسلام بالشهادتين هو في الجوّ العام فقط، أمّا في الجوّ الخاص في جوّ المجموعة التي كان النبي يُطلق عليها "شيعة عليّ" فكان الإسلام في الجوّ الخاص من البداية هو (التوحيد النبوّة الولاية).. وأمّا بعد الغدير فإعلان الإسلام يتمثّل بالشهادات الثلاثة.

فالطهارة المعنوية الحسيّة تبدأ بإعلان الإسلام في مرحلة التأويل التي بدأت منذ زمان بيعة الغدير، وتتكامل شيئاً فشيئاً إلى ظهور إمام زماننا عليه السلام حيث يأتينا بالمثال المستأنف - كما تقول الروايات - ومعنى المثال المستأنف: هو التأويل الكامل.

✪ هناك حالة أخرى أشرت لها في الحلقة الماضية وهي (حالة من التماهي بين الطهارة الحسيّة والمعنوية) حالة مِن التمازج فيما بينهما.

■ وقفة عند رواية إمامنا الصادق عليه السلام في [الكافي الشريف: ج3]: (قال: إذا سمّيت في الوضوء طَهُر جسدك كلّه وإذا لم تُسمّ لم يطهُر من جسدك إلّا ما مرّ عليه الماء). قطعاً هذا الكلام يشتمل على المعاني المتقدّمة:

● أولاً: هذا المتوضئ قد تطهّر بالطهارة الحسيّة المعنوية حين أعلن إسلامه وإيمانه بالتوحيد والنبوّة والولاية،

● ثمّ تطهّر بالطهارة الحسيّة بحسب طقوسها ومناسكها الواردة عن آل محمّد،

ولكن الإمام هنا يتحدّث عن الحالة الثالثة وهي حالة التماهي والتمازج بين الطهارة الحسيّة والمعنوية فيقول (إذا سمّيت في الوضوء..) فلم يقل الإمام مثلاً: إذا دعوت بالدعاء الكذائي، أو الذكر الكذائي وإنّما يقول: (إذا سمّيت في الوضوء..) فالإمام يتحدّث عن (تسمية) تترتّب عليها طهارة ماديّة ومعنوية في نفس الوقت، وإن كان الحديث هنا بالدرجة الأولى هو عن الطهارة المعنوية، الطهارة النورية.

■ وقفة عند حديث الإمام الرضا في [الفقه الرضوي] الذي يُبيّن فيه الإمام المراد من التسمية في الوضوء

(مَن ذكر الله عند وضوئه طَهُر جسده كلّه، ومَن لم يذكر اسم الله في وضوئه طَهُر مِن جسده ما أصابه الماء)

الحديث هنا عن اسم، عن تسمية.. ولكن ما المراد من هذه التسمية؟

● قول الإمام (ومَن لم يذكر اسم الله في وضوئه) مُصطلح (التسمية) قد يُراد منه ذكر البسملة، والبسملة حقيقتها في مضمونها - كما تقول كلماتهم الشريفة صلوات الله عليهم - كهذه الرواية الواردة عنهم: (بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى الإسم الأعظم مِن سواد العين إلى بياضها). كلمة واضحة وبليغة جدّاً.. هل هناك بُعْد بين سواد العين وبين بياضها؟! فالبسملة أقرب إلى الإسم الأعظم، الحديث هنا عن الإسم الأعظم.

وهذا الإسم الأعظم الذي تختفي حقائقه بنحو مُجمل في آية البسملة هو نفسه الذي يتحدّث عنه الدعاء الذي يُقرأ في ليلة المبعث والدعاء الذي يقرأ يوم المبعث أيضاً، دعاء أوّله (اللّهمّ إنّي أسألك بالتجلّي الأعظم في هذه اللّيلة) إلى أن يقول الدعاء: (وباسمكَ الأعظم الأعظم الأعظم، الأجلّ الأكرم الذي خلقته فاستقرّ في ظلّك، فلا يخرج منك إلى غيرك) الدعاء يقول: الذي خلقته، أي أنّ الإسم الأعظم مخلوق.

أوّل عنوان يتبادر إلى الذهن هو (الإسم الأعظم) والبسملة أقرب إليه من سواد العين إلى بياضها.. فهنا جاء ذكره في دعاء ليلة المبعث، وأيضاً يُذكر في دعاء يوم المبعث. فأيّ حقيقة هذه التي خلقها الله واستقرّت في ظلّه فلا تخرج منه إلى غيره؟! إنّها حقيقتهم (الحقيقة المُحمّدية). وهذا الإسم الأعظم هو نفسه الذي عبّر عنه القرآن بالإسم الأعلى، كما في قوله تعالى {سبّح اسم ربّك الأعلى} علماً أنّ (الأعلى) هنا وصف للإسم وسيتّضح ذلك.

■ وقفة عند الآية 17 وما بعدها مِن سورة اللّيل: {وسيُجنّبها الأتقى* الذي يُؤتي ماله يتزكّى* وما لأحدٍ عنده من نعمةٍ تُجزى* إلّا ابتغاء وجه ربّه الأعلى}.

الأعلى هنا في الآية أيضاً وصف للوجه، وهذه الصياغة التركيبية في التعبير القرآني تتجلّى في سورة الرحمن بشكل واضح (أي بالحركة الإعرابية الظاهرة) لأنّ مفردة الأعلى لا تظهر عليها الحركة الإعرابية لكونها مُنتهية بالألف المقصورة.. أمّا في سورة الرحمن قوله تعالى: {كلّ مَن عليها فان * ويبقى وجه ربّك ذو الجلال والإكرام} فإنّ وصف "ذو الجلال" هو صفة للوجه لأنّها مرفوعة بالواو، والصفة تتبع الموصوف في الإعراب، لو كان تعبير "ذو الجلال" وصف لربّك للزم أن يكون التعبير مجرور بالياء "ذي الجلال"، لأنّ الموقع الإعرابي لـ(ربّك) هو أنّه مجرور بالإضافة. إذن وصف "ذو الجلال" هو للوجه هنا.

وعلى هذا يكون وصف (الأعلى) في قوله تعالى {سبّح اسم ربّك الأعلى} هو للإسم أيضاً وليس لربّك.

■ وقفة عند الآية 27 من سورة الروم: {وهو الذي يبدأ الخلق ثمّ يُعيده وهو أهون عليه وله المثلُ الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم} هذا المثل الأعلى المذكور في الآية هو مَثَلٌ لله.

■ وقفة عند الآية 60 من سورة النحل: {لّلذين لا يؤمنون بالآخرة مَثَلُ السَوء ولله المَثَل الأعلى وهو العزيز الحكيم} نفس التعبير. وهو نفسه المثل الأعلى المذكور في الزيارة الجامعة الكبيرة - التي تمثّل القول البليغ الكامل - إذ نقول في الزيارة ونحن نخاطب أهل البيت عليهم السلام:

(السلام على أئمة الهدى، ومصابيح الدجى، وأعلام التقى، وذوي النهى، وأولى الحِجى، وكهف الورى، وورثة الأنبياء، والمَثَل الأعلى، والدعوة الحسنى، وحُجَج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته) هم صلوات الله عليهم المَثَل الأعلى، وهم الإسم الأعظم الأعظم الذي خلقه الله فاستقرّ في ظلّه فلا يخرج منه إلى غيره.. ومرّ علينا حديث الإمام الصادق عليه السلام مع داوود بن كثير، حين قال عليه السلام: (يا داود نحن الصلاة في كتاب الله عزّ وجل ونحن الزكاة ونحن الصيام ونحن الحجّ ونحن الشهر الحرام ونحن البلد الحرام ونحن كعبة الله ونحن قبلة الله ونحن وجه الله)

■ فقول الإمام (إذا سمّيت في الوضوء طَهُر جسدك كلّه وإذا لم تُسمّ لم يطهُر من جسدك إلّا ما مرّ عليه الماء) الحديث عن الإسم الأعظم، الإسم الأعلى، عن الإسم الأكبر.

■ وقفة عند دعاء نشر المُصحف الذي هو من أعمال ليالي القدر، والدعاء في [مفاتيح الجنان] نقول في الدعاء:

(اللّهم إنّي أسالكَ بكتابك المُنزل وما فيه وفيه اسمك الأكبر وأسماؤك الحسنى، وما يُخاف ويُرجى أن تجعلني مِن عُتقائك من النار) وتدعو بما بدا لك من حاجة.

دعاء يُقرأ في أشرف شهر وهو شهر رمضان، وفي أشرف ليالي وهي ليالي القدر، وتضع بين يديك أشرف كتاب وهو (القرآن) وتدعو بهذه الكلمات ثُمّ تدعو بعدها بما بدا لك من حاجة.

● في قوانين منظومة الدعاء هناك قانون واضح وصريح جدّاً بيّنه لنا المعصومون عليهم السلام.

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق عليه السلام في [الكافي الشريف]

(عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كلّ دعاء يُدعى الله عزّ وجل به محجوب عن السماء حتّى يُصلّي على محمّد وآل محمّد)

السبب في أنّ كلّ دعاء - دون استثناء - يكون محجوب عن السماء لأنّ الإنسان لا يمتلك الطاقة والقدرة أن يتواصل مع الغَيب.. فهو بحاجة إلى قوّة دافعة.. والصلاة على محمّد وآل محمّد التي ترفع الحُجب عن الدعاء، المراد منها المضمون، الروح، أنّ الدعاء وأنّ الذكر مِن دون محمّد وآل محمّد لا معنى له.. الصلاة على محمّد وآل محمدّ هو عنوان هو إشارة إلى معرفتهم والتمسّك بولايتهم.

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق عليه السلام في [الكافي الشريف: ج1] - باب النوادر (نوادر جوامع التوحيد)

(عن معاوية بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجل: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها} قال: نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا).

المضامين واحدة.. فالحديث السابق يقول (كلّ دعاء يُدعى الله عزّ وجل به محجوب عن السماء حتّى يُصلّي على محمّد وآل محمّد) وهنا الإمام يقول:

(نحن والله الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلّا بمعرفتنا) الله تعالى يتجلّى في الإسم الأكبر، ويتجلّى في الأسماء الحُسنى أيضاً.. والإسم الأكبر هم، والأسماء الحسنى هم أيضاً.. إنّها مجالي آل محمّد صلوات الله عليهم.

■ وقفة عند حديث الإمام الصادق عليه السلام في [الكافي الشريف: ج1] - باب حدوث الأسماء

(عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير مُتصوّت - لا يوجد له لفظ - ، وبالّلفظ غير مُنطَق وبالشخص غير مُجسّد، وبالتشبيه غير موصوف، وبالّلون غير مصبوغ، منفيٌ عنه الأقطار، مُبعَّدٌ عنه الحدود، محجوبٌ عنه حسّ كلّ مُتوهم، مُستتر غير مستور، فجعله كلمة تامّة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل آخر، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفاقة الخلْق إليها، وحجب منها واحداً وهو الإسم المكنون المخزون، فهذه الأسماء التي ظهرت، فالظاهر هو الله تبارك وتعالى، وسخّر سبحانه لكلّ اسم مِن هذه الأسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر ركناً، ثمّ خلق لكلّ ركن منها ثلاثين اسْماً فعلاً منسوباً إليها فهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، الخالق البارئ، المصوّر، الحيّ القيّوم لا تأخذه سِنة ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبّار، المُتكبّر، العليّ، العظيم، المُقتدر القادر، السلام، المؤمن، المهيمن، البارئ، المُنشئ، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرازق، المُحيي، المميت، الباعث، الوارث، فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتّى تتم ثلاث مئة وستين اسماً فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة - التي تجلّت من هذا الإسم المخلوق - وهذه الأسماء الثلاثة أركان، وحجب الإسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة وذلك قوله تعالى: {قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى}..).

● قول الإمام في وصف الإسم الأعظم (خلق اسماً بالحروف غير مُتصوّت، وبالّلفظ غير مُنطَق) هو التعبير الأوّل في كلام الإمام يكفي حين قال الإمام (بالحروف غير متصوّت) لأنّه إذا لم توجد أصوات ولا حروف فلا توجد ألفاظ حينئذٍ.. لأنّ الألفاظ تتألف من حروف والحروف هي أصوات.. ولكن الإمام يُكرّر هذه التعابير لتأكيد هذه الحقيقة: وهي عدم وجود إشارات صوتية أو لفظية وحتّى ذهنية، فيُبعِد عن أذهاننا أيّ لون من ألوان التحديد؛ وذلك لبيان عظمة هذا الإسم فهو الإسم الأعظم، هو الإسم الأكبر، هو الإسم الأعلى.

● قول الإمام في وصف الإسم الأعظم (مُستتر غير مستور) يُمكن أن أقرّب المعنى بهذه الرواية (سُمّيت فاطمة لأنّ العقول فُطمت عن معرفتها) فهي غير مستورة، وإنّما عظمة الحقيقة المُتجلّية فيها جعلتها حقيقة مُستترة.. لأنّها لو كانت مستورة بستر، فإنّه برفع هذا الستر تتمكّن العقول مِن الوصول إليها، فهي حقيقة مُستترة لأنّ عقول الخلق قد قُطعت عن معرفتها، فلا يُمكن أن تقترب منها العقول.. هي مُستترة بعظمتها.

● قول الإمام في وصف الإسم الأعظم (فجعله كلمة تامّة) الكلمة التامّة والكلمة الأتم هم صلوات الله عليهم، كما في الرواية (كان الله ولم يكن معه شيء، ثمّ تكلّم بكلمة..)

● قول الإمام في وصف الإسم الأعظم (فالظاهر هو الله تبارك وتعالى) هذا الإطلاق هو على تجلٍّ مِن تجلّيات الإسم الأكبر، أمّا الإطلاق الأوّل في بداية الحديث (إنّ الله تبارك وتعالى) فهذا الإطلاق هو على الذات التي ذوّتت الذوات، على الأوّل الذي لا أوّل لأوّليته ولا آخر لآخريّته، على الذي فاض بالكلمة التامّة وتجلّى فيها ومن تلك الكلمة التامّة تجلّى كلّ الوجود.

علماً أنّي شرحت هذا الحديث في برنامج [يا علي] فيُمكنكم أن تعودوا إلى هذا البرنامج.

● هذه المضامين هي هي التي جاءت في دعاء البهاء (الّلهم إنّي أسألكَ مِن بهائك بأبهاه، مِن جمالك بأجمله...)

● وهي نفس المضامين الموجودة في أوّل دعاء كميل (الّلهمّ إنّي أسألك برحمتك التي وسعت كلّ شيء، وبوجهك الباقي بعد فناء كلّ شيء، وبأسمائك التي ملأت أركان كلّ شيء) وإنّما أُشير إلى دعاء كميل لأنّه دعاء معروف وإلّا فإنّ كلّ الأدعية هي أيضاً على هذا النسق. وهذا الأمر يجري في كلّ الأدعية والمُناجيات.

■ إذا أردتم أن تفهموا حديث آل محمّد عليهم السلام فافهموه حديث آل محمّد من خلال حديثهم وكلماتهم، فكلامهم يشرح بعضه بعضاً، وهم الأعرف بكلامهم.. وهذا معنى (كلامكم نور) النور يكشف عن نفسه ويكشف عن غيره.

■ (إذا سمّيت في الوضوء طَهُر جسدك كلّه وإذا لم تُسمّ لم يطهُر من جسدك إلّا ما مرّ عليه الماء) إنّه الإسم الأعظم، الإسم الأعلى، الإسم الأكبر.. ما عُبّر عنه في كلامهم بالذكر الأكبر، هم الذكر الأكبر.

وحينما نتحدّث عن الذكر، فليس المراد الذكر اللّساني - إذا كنّا نتحدّث عن طقوسية الأذكار - الذكر في جوهره الذكر القلبي.
في ثقافة آل محمّد أفضل الذكر البشري هو أن أذكر الله في مواضع طاعته وأبادر إلى طاعته، وأن أذكره في مواضع معصيته وأكفّ نفسي عن معصيته..فهذا هو أعظم الذكر.
الذكر الحقيقي هو الذي يتمازج مع وجدان الإنسان ويترتّب عليه العمل بالأركان.. والصِيغ اللّفظية هذه تأتي مُكمّلة في ضِمن منظومة الأذكار.. وإلّا ما فائدة الألفاظ مِن دون أن تتحوّل إلى واقع وجداني ومَلَكة نفسية يعيشها الإنسان في زمانه ومكانه، في إعلانه وإسراره، في الخلأ والملأ.

■ حديث الإمام الباقر مع سعد الخفّاف جاء في آخره: ({إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر} نحن ذكر الله ونحن أكبر). هم الإسم الأعظم، هم الإسم الأكبر، هم الإسم الأعلى، هم الإسم المكنون المخزون، هم الأسماء الحسنى.

■ وقفة عند الآية 20 من سورة اللّيل: {إلّا ابتغاء وجه ربّه الأعلى}

● وقفة عند حديث الإمام الرضا في [الكافي الشريف:ج2] في بيان معنى قوله تعالى: {قد أفلح مَن تزكّى* وذكر اسم ربّه فصلّى} (عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان قال: دخلت على أبي الحسن الرضا، فقال لي: ما معنى قوله: {وذكر اسم ربه فصلى} قلت: كلّما ذكر اسم ربّه قام فصلّى، فقال لي: لقد كلّف الله عزّ وجل هذا شططاً، فقلتُ: جُعلتُ فداك فكيف هو؟ فقال: كلّما ذكر اسم ربّه صلّى على محمّد وآله).

■ إنّنا نتحدّث هنا عن الإسم الأعظم، عن الإسم الأكبر، عن الإسم الأعلى، عن الإسم المكنون المخزون، عن الأسماء الحسنى التي ملأت أركان كلّ شيء، ونحن نقرأ في دعاء شهر رجب (لا فرق بينك وبينها إلّا أنّهم عبادك وخلقك، فتقُها ورتقُها بيدك، بدؤها منك وعودها إليك، أعضادٌ وأشهاد ومُناة وأذواد وحَفَظَةٌ وروّاد، فبهم ملأتَ سمائك وأرضك حتّى ظهر أن لا إله إلّا أنت) هم الأسماء التي ملأت أركان كلّ شيء.

● ومرّ علينا في الزيارة الجوادية يوم أمس (السلام على شهور الحول وعدد الساعات، وحروف لا إله إلا الله في الرقوم المُسطّرات)

✤ الخلاصة الموجزة:

- ما جاء في كلمات إمامنا الرضا عليه السلام في معنى الآية {وذكرَ اسم ربّه فصلّى} قال الإمام: كلّما ذكر اسم ربّه صلّى على محمّد وآل محمّد

و هو نفس المضمون الموجود في الزيارة الجامعة الكبيرة (مَن والكم فقد والى الله ومَن عاداكم فقد عادى الله ومَن أحبّكم فقد أحبّ الله ومَن أبغضكم فقد أبغض الله).
وهذا المضمون في الزيارة الجامعة الكبيرة (وأمره إليكم) هو نفس المضمون في كلمات إمام زماننا في دعاء شهر رجب (لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك)

■ كان الحديث عن طهارة يتماهى فيها المعنى الحسّي والمعنوي (فإذا سمّيت في الوضوء طَهُر جسدك كلّه)
ليس المراد من التسمية هنا اللّفظ، قد يكون اللّفظ مكمّلاً .. المراد من التسمية العقيدة، الحالة المعنوية، أنّك تبني حياتك وتبني دينك على هذه المنظومة العقائدية ، هذه هي النية (نيّة المؤمن خيرٌ من عمله) النية هي المضمون الداخلي للإنسان.
فالقضية ليست في الألفاظ، القضية في المضمون.